

## المحاضرة التاسعة

### عنوان المحاضرة:

مظاهر الحرب الباردة في العالم منذُ عقد الستينات

Appearances of the Cold War in the world since the sixties

First: the Cuban crisis

اولاً: الأزمة الكوبية

The impact of the crisis on international relations

أثر الأزمة على العلاقات الدولية

## محتوى المحاضرة:

### مظاهر الحرب الباردة في العالم منذ عقد الستينات

ورث الرئيس الأمريكي جون كندي الذي استلم السلطة مع بداية عام ١٩٦١ أوضاعاً دولية معقدة وصعبة أجبرته على اتباع سياسة الشدة والتصعيد في العلاقة مع الاتحاد السوفيتي وفي التعامل مع القضايا الدولية خلال حملته الانتخابية شناً هجوماً على المعسكر الشيوعي وطالب بأن يكون الدعم أكبر لمنع امتداد نفوذ هذا المعسكر إلى القارة الأمريكية لاسيما بعد الثورة الكوبية عام ١٩٥٩، وعند توليه منصب الرئاسة في كانون الثاني عام ١٩٦١ أشار إلى: (إننا نوجه كلامنا إلى الأصدقاء والأعداء ونقول لهم أن مشعل الحرية قد انتقل إلى يد جيل جديد ولد في هذا القرن وتطبع في الحرب وتم تنظيمه وتدريبه في زمن قاسي ومرير.... فلتفهم كل أمة، إننا سندفع كل ثمن وكل عبء ونتحمل كل مشقة... لنضمن بقاء الحرية ونجاحها).

كانت الإدارة الأمريكية السابقة في عهد الرئيس ايزنهاور قد أدخلت العلاقات الأمريكية السوفيتية في نطاق المواجهة والتصعيد، إذ ازدادت جِدَّة المواجهة حول مسألة برلين منذ عام ١٩٥٨ واستمرت إلى عهد كندي ثم ازدادت طلعات طائرات التجسس الأمريكية فوق الأراضي السوفيتية والتي افتضح أمرها بعد اسقاط السوفييت لإحدى هذه الطائرات من نوع (U2) فوق الأراضي السوفيتية في مايس عام ١٩٦٠ أي قبل عدَّة أشهر من بدء ولاية كندي. فضلاً عن الأوضاع في أمريكا اللاتينية والتي مثَّلت الثورة الكوبية التحدي الأكبر للإدارة الجديدة لاسيما بعد أن أصبحت كوبا قاعدة مهمة للاتحاد السوفيتي عسكرياً وأيديولوجياً إضافة إلى تحديات أخرى في الشرق الأقصى والشرق الأوسط وأفريقيا. لذلك حاول الرئيس الجديد اعطاء الانطباع بأنه ليس أقل قوة من سلفه، إذ صرح مع بداية ولايته أن بلاده سوف تزيد من انفاقها العسكري، وأكد أن الإدارة السابقة لم تتحلَّى بسياسة الفعل وإنما كانت مترددة، لذا فقد دعا إلى زيادة القدرة النووية والتغلب على الفجوة الصاروخية مع السوفييت. وطبقاً لهذه السياسة فقد زادت ميزانية التسليح من (٤٠) مليار دولار لعام ١٩٦٠ / ١٩٦١ إلى (٤٤,٦٦) مليار دولار في ١٩٦١ / ١٩٦٢، كما توسعت حكومة كندي في انتاج الغوصات النووية التي تحمل الصواريخ الاستراتيجية والتي أصبحت لها ميزات فنية عالية في مجال الدقة والقدرة على التخفي والتمويه.

أعطت هذه المزايا الثقة للحكومة الأمريكية في التعامل مع القضايا الدولية واتخاذ القرارات الخطيرة كما سنرى في أزمة الصواريخ الكوبية، وتعبيراً عن هذه الثقة أشار نائب وزير الدفاع الأمريكي إلى "أن نظام دفاعاتنا قد صممت وتمت حمايتها بطريقة تجعل أي هجوم عليها غير ذي تأثير كبير لذا فستتوفر لنا القدرة الهائلة للرد بالضربة الثانية تفوق قدرة السوفييت....".

### أولاً: الأزمة الكوبية

لا يمكن فصل الأزمة الكوبية مع الولايات المتحدة عن التطورات الداخلية في كوبا فضلاً عن الصراع الأمريكي السوفيتي. فمنذ نجاح الزعيم الكوبي فيدل كاستور في ثورته ضد نظام الرئيس باستا الموالي للولايات المتحدة والداعم لسياستها في أمريكا اللاتينية، بدأت المواقف المعادية من قبل الطرفين، فكوبا جزيرة تقع على مقربة من الأراضي الأمريكية، وللولايات المتحدة مصالح اقتصادية واسعة في هذه الجزيرة، لذا فإن التغيير السياسي فيها والاجراءات الناتجة عنه مثَّلت تحدياً كبيراً للإدارة الأمريكية ومصلحتها.

وارداد هذا التحدي وزادت خطورته عندما بدأ التقارب ومن ثم التحالف بين القيادة الكوبية الجديدة والاتحاد السوفيتي إذ وقّع الجانبان اتفاقات عدّة ابتداءً من شباط ١٩٦٠، وفيها قدّم السوفيت معونات اقتصادية كبيرة إلى كوبا مثلّت بداية التعاون في مجالات عدة منها الجوانب العسكرية بهدف الوقوف بوجه المحاولات الأمريكية لإجهاض التغيير الثوري في كوبا. لقد كان من أولى الاهتمامات التي حرص عليها الرئيس كندي بعد استلامه منصب الرئاسة هو تصعيد السياسة المعادية لكوبا والتي بدأها سلفه ايزنهاور عندما قرر قطع العلاقات الدبلوماسية معها قبل ثلاثة أسابيع فقط من تولي الرئيس كندي. لذا فقد وجد الرئيس الجديد أمامه مجموعة من الخطط المعدة من قبل إدارة الرئيس السابق، الأمر الذي أدى إلى وقوعه تحت ضغوط كبيرة لإقرار هذه الخطط بأقرب وقت.

ان المتتبع لسياسة كندي في تلك المرحلة يشعر أن قراراته فيما يتعلق بكوبا مرتبطة بتأثير عوامل عدة منها:

**\* عامل شخصي:** ناتج عن تأثير شعوره بالانتصار في الانتخابات لاسيما أنه جعل قوة أمريكا وهبتها وانتصارها في الحرب ضد الشيوعية أهم عناصر حملته الانتخابية. لذا فكان لزاماً عليه إثبات ذلك في بداية رئاسته واثبات انه رئيس قوي في مواجهة خصومه الداخليين والخارجيين الذين يتهمونه بقلّة الخبرة وصغر السن (أصغر رئيس أمريكي) التي تعني ضعف التجربة.

**\* عامل إداري:** العامل الإداري يتعلق بالمجموعة التي تحيط به وهي تتصف بحالتين: الأولى ان أعضاء مجلس وزرائه ومستشاريه هم من أصغر الموظفين الرسميين سناً وأقلهم تجربة، والحالة الثانية أن موظفي وكالة الاستخبارات الأمريكية كانت قد أعدت الخطط وعملت على اقناعه بجاهزية هذه الخطط وضمن نجاحها في تحقيق الهدف الأساسي وهو القضاء على التجربة الشيوعية في كوبا.

**\* العامل الإعلامي:** تأثر كندي بالتحليلات والمعلومات الصحفية التي توقعته ان أي فعل عسكري ضد كوبا سوف يلقى ترحيباً من قبل الشعب الكوبي الذي سوف يثور على قيادته الجديدة وبالتالي يكون غزو كوبا عملية سهلة مدعومة داخلياً وخارجياً.

لذلك كله وافق كندي على خطة إنزال قوات من المتمردين الكوبيين، كان قد تم تدريبهم من قبل وكالة المخابرات الأمريكية في غواتيمالا، وجهزوا بالأسلحة على السواحل الكوبية بواسطة سفن تجارية مستأجرة من قبل الولايات المتحدة. كما تم تجهيز طائرات حربية يقودها طيارون كوبيين لضرب الأهداف الحيوية في كوبا إلا إن موافقة كندي على الخطة كانت مشروطة بعدم إشراك القوات الأمريكية بشكل مباشر في عملية الإنزال حتى تظهر للعالم بأن العملية صراع داخلي على السلطة، فضلاً عن عدم رغبته بالاصطدام بالاتحاد السوفيتي حليف النظام في كوبا.

في ١٥ نيسان عام ١٩٦١ (أي بعد ثلاثة أشهر من تولي كندي الرئاسة) انطلقت عملية الغزو بعدة سفن محملة بالمتمردين الكوبيين بهدف إنزالهم على السواحل الكوبية في (خليج الخنازير) والتي ستكون نقطة الارتكاز لانطلاق تلك القوات وانتشارها داخل الأرض الكوبية، في ذات الوقت شنت الطائرات الأمريكية عدة هجمات على المواقع الكوبية. إلا أنه ومع مرور اليوم الأول والثاني من العملية اتضح انها لم تسير وفق ما خطط لها. فقد تمكنت الدفاعات الكوبية من اسقاط عدد من الطائرات المغيرة، كما تمكن الجيش والمليشيات المساندة لكاسترو من مهاجمة السفن وإفشال عملية الإنزال. ولم تمض أربعة ايام على الهجوم حتى اتضح أن عملية (خليج الخنازير) قد فشلت.

رفض كندي دعوات من إدارته بإشراك القوات الأمريكية بشكل مباشر خشية الاصطدام مع السوفييت الذين أرسلوا مذكرة كتبها الزعيم السوفيتي خروشوف هدد فيها بأنه سيقوم (بكل عمل ضروري للشعب الكوبي ما لم توقف الولايات المتحدة غزوها). وقد ردّ كندي على ذلك برسالة حذّر فيها السوفيت من التدخل في القتال الدائر لأنه في هذه الحالة سوف ترمي الولايات المتحدة بكل ثقلها لحماية حدودها. كان لهذه العملية ونتائجها (التي اعتبرت هزيمة لكندي وآراءه) ذات تأثير سلبي على الولايات المتحدة وعلى الرئيس شخصياً إذ افتتح عهده في البيت الابيض بفشل كبير على صعيد السياسة الخارجية. ولاسيما أن وصوله للحكم جاء على خلفية وعوده وخطاباته النارية التي توعد فيها أعدائه بالمنطقة والعالم بأخطر العواقب.

### أما أهم نتائج هذه العملية:

أ- قيام كندي بتغيير شامل في إدارته خاصة في وكالة الاستخبارات إن تمت إقالة رئيس الوكالة (الن دالس) فضلاً عن تززع الثقة بين الرئيس والدوائر المحيطة به لاسيما العسكرية منها، والبدء بالاعتماد على تقديراته وتحليلاته مع استشارة المقربين منه مسد.

ب- عملية الغزو حفزت القيادة الكوبية واعطتها المبررات الكافية بالعمل لحماية نفسها وامتلاك قوة رائعة مما هيا الاجواء لولادة ازمة جديدة أخطر من سابقتها على السلام العالمي.

فقد تصاعد وتيرة التحالف الاستراتيجي بين كوبا والاتحاد السوفيتي لتبلغ ذروتها بقيام الأخير بنصب قواعد عسكرية لإطلاق صواريخ متوسطة وبعيدة المدى تحمل رؤوساً نووية داخل الأراضي الكوبية، وأشار الرئيس كاسترو في حديث صحفي إلى انه اراد نصب هذه الصواريخ افهام الولايات المتحدة بان ضرب كوبا يعني الحرب على السوفييت. تمكنت المخابرات الأمريكية من اكتشاف هذا الموضوع الذي كان يجري بسرية تامة من قبل متخصصين سوفييت داخل كوبا وذلك في ايلول من عام ١٩٦٢ ، كما تم استخدام الاستطلاع الجوي لالتقاط الصور وتحليلها.

بدأت الإدارة الأمريكية بالبحث عن الوسائل الممكنة لوقف هذا الخطر الكبير الداهم على حدودها. وشكلت لجنة في تشرين الأول ١٩٦٢ اطلق عليها (اللجنة التنفيذية لمجلس الأمن الوطني) من وزير الدفاع والخارجية والاستخبارات وغيرهم وذلك لإيجاد أفضل السبل المعالجة لموقف. كان الرئيس كندي متأثراً وهو يبحث هذه الأزمة ويضع الخيارات المناسبة لمواجهةها بعدة أمور :

أ- التجربة الفاشلة لغزو كوبا عام ١٩٦١ ونتائجها المريرة.

ب- مخاطر المواجهة المباشرة مع الاتحاد السوفيتي وكل ما يعني ذلك من احتمالات كارثية على الدولتين.

ج- عدم تقبل كندي للتهديد نووي على حدوده يضغط عليه ويحد من قدراته في تنفيذ السياسة الخارجية التي رسمها تجاه مختلف المناطق ومن بينها امريكا اللاتينية. في ٢ / ١٠ / ١٩٩٢ وجه الرئيس كندي خطابة إلى الشعب الأمريكي اتهم فيه الاتحاد السوفيتي بالأعداد لهجوم نووي ضد الاراضي الأمريكية ، وأشار إلى وجود قواعد لصواريخ هجومية على الأراضي العربية وانها تحمل رؤوس نووية، وان هذه الصواريخ يمكنها الوصول إلى جميع الاراضي الامريكية.

وأعلن في الخطاب نفسه عن اتخاذ اجراءات عديدة منها:

أ- فرض حصار بحري شامل مشدد حول الشواطئ الكوبية بغية منع وصول الأسلحة والصواريخ اليها.

ب- إصدار الأوامر للاستعداد العسكري للقوات الامريكية من بينها وضع منصات الصواريخ النووية في حالة تأهب قصوى وابحار (١٨) سفينة حربية في البحر الكاريبي، فضلا عن تحليق الطائرات العملاقة (B52) وهي في حالة استعداد هجومي بالأسلحة النووية.

ج- توسيع حالة التهديد ليشمل الاتحاد السوفيتي أن أعلن أن الرد، سوف يشمل الاتحاد السوفيتي وقواعده في العالم.

إن الإعلان الأمريكي لهذه الإجراءات قد وضع العالم على شفى حرب نووية مدمرة كما انها جعلت الولايات المتحدة في وضع لا يقبل المساومة أو التراجع لأن ذلك سوف يقلل من مصداقيتها وهيبتها الدولية. كما إنها لم تعط فرصة للطرف الآخر ، فأما أن يتراجع وهذا فيه مساس لمكانة وهيبة الاتحاد السوفيتي كقوة عظمى، أو أن تتحدي القرار الأمريكي وذلك يعني المواجهة المباشرة بكل ما يحمله من مخاطر. ونتيجة لخطورة الموقف فقد تبادل الرئيسان الأمريكي والسوفيتي عدة رسائل دارت حول ثلاث نقاط أساسية.

أ- سحب الصواريخ من كوبا وتفكيك قواعدها.

ب- رفع الحصار عن كوبا والتعهد بعدم غزوها.

ج- ان توافق الولايات المتحدة على تفكيك صواريخها في تركيا. وفي الوقت الذي تم الاتفاق فيه على النقطة الأولى والثانية فان الأمريكيين رفضوا الاستجابة للنقطة الثالثة، وزاد من خطورة الموقف اسقاط السوفييت لطائرة تجسس أمريكية على الأراضي السوفيتية في ٢٧ / ١٠ / ١٩٦٢ ومقتل طيارها. إلا إنه وبرغم هذه العقبات اعلن راديو موسكو في ٢٨ / ١٠ موافقة الرئيس على سحب الصواريخ الكوبية وتفكيك قواعدها بأشراف الأمم المتحدة مقابل رفع الحصار عن كوبا ، والتعهد بعدم غزوها. وهكذا انتهت الازمة والتي مثلت امتحانا صعبة مرت به العلاقات الدولية كما مثلت بداية جديدة في تلك العلاقات.

### أثر الأزمة على العلاقات الدولية:

لقد اعتبرت ازمة عام ١٩٦٢ ذروة المواجهة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية. إلا أنها في الوقت نفسه تركت آثار مهمة في طبيعة العلاقة بين القطبين المتنافسين وفي علاقتهما مع دول العالم.

أ- أن احتمالات المواجهة العسكرية الشاملة واثارها الكارثية المتوقعة على الجميع جعل من انفراج هذه الأزمة وغلبة منطق العقل والحكمة على منطق الهيبة والكرامة الشخصية بمثابة بداية لانطلاق علاقة جديدة بين القوتين العظمتين اطلق عليها المحللون السياسيون (بعصر الانفراج الدولي). فمثلاً لم يستغل الرئيس الأمريكي الموقف لإذلال السوفيت باعتبارهم هزموا في المواجهة، بل أنه بادر إلى ارسال برقية إلى خروشوف يعتذر فيها عن خرق طائرة التجسس (U2) للأجواء السوفيتية كما تم الاتفاق على انشاء (خط ساخن) للاتصال المباشر بين الرئيسيين للبحث في الأزمات التي قد تحصل مستقبلاً.

وفي هذا الصدد أشار كندي في خطاب له في ١٠ كانون الثاني ١٩٦٣ إلى "ان ايجاد سلام عادل حقيقي ومنع سباق التسلح يمثلان مصلحة اساسية مشتركة للمعسكرين الشرقي والغربي" وأبدى استعداداه لوقف التجارب النووية فوراً. وطبقاً لذلك فقد تم الاتفاق على توقيع معاهدة الحظر الجزئي للتجارب النووية وذلك في موسكو في ٥ / ٨ / ١٩٦٣ وصادق عليها الكونغرس الأمريكي في ٢٤ / ٩ من نفس العام.

ب- أثرت هذه الأزمة على طبيعة العلاقة بين كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي من جهة وحلفائهم من جهة أخرى، فالاتحاد السوفيتي أصبحت سمعته في مدى استعداداه لدعم حلفاءه موضع شك وعدم المصداقية، فضلاً عن تأثير الأزمة على الإدارة السوفيتية إذ أضعفت من سلطات خروشوف الذي نُجى عن السلطة خلال عام ١٩٦٤.

كما أن استهتار الطرفين المتنازعين بالتهديد باستخدام القوة الذرية دون الالتفات إلى مصالح حلفاءهم أو التشاور معهم أدى إلى رد فعل داخل حلف الأطلسي قادته فرنسا، وفي حلف وارشو قادته رومانيا وكان ذلك بمثابة بداية لانفراط ما يسمى بنظام ثنائي القطبية.

ج- أصبح الحذر الأمريكي أكثر فاعلية في تعامله مع الأحداث في العالم بشكل عام وفي أمريكا اللاتينية بشكل خاص بهدف منع الاتحاد السوفيتي من امكانية تكرار تجربة كوبا في أي دولة أخرى في أمريكا الجنوبية.

ففي عام ١٩٦٥ أعلن الرئيس الأمريكي جونسون مبدأه القائل بانتهاء الفوارق بين الحرب المحلية والحرب الدولية، وذلك كون (أعداء الحرية) كما وصفهم يستخدمون حروب التحرير الوطني لخدمة اغراضهم. وطبقاً لهذا الوصف جاء التدخل العسكري المباشر في الدومنيكان عام ١٩٦٥ بعد إقرار الكونغرس بإمكانية الاستخدام المنفرد للقوة في (الدول المهددة بالشيوعية) بشكل مباشر أو غير مباشر وهذا ما سنجده في مناطق عديدة من العالم.